مقـــدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمود الله ، جلت آلاؤه ، والمصلى عليه محمد وآله .

و بعد : فإنا لنشاهد فى عصرنا الحاضر ميل الناس إلى التزيد فى الثقافة الدينية ، ولا سيما تفسير الكتاب الكريم والسنة النبوية ، وكثيرا ما سئلت أىُّ التفاسير أسهل منالا ، وأجدى فائدة للقارئ فى الزمن القليل ؟ فكنت أقف واجما حائرا لاأجد جواباعن سؤال السائل علما منى بأن كتب التفسير على مافيها من فوائد جمة ، وأسرار دينية عظيمة و إيضاح لمغازى الكتاب الكريم ، قد حشيت بالكثير من مصطلحات الفنون : من بلاغة ونحو وصرف وفقه وأصول وتوحيد إلى نحو أولئك مما كان عقبة كأداء أمام قارئيها ، إلى ما فيهامن أقاصيص مجانفة لوجه الصواب متنكبة عن حظيرة العقل ووجوه المعارف التى يصح تصديقها ، إلى تفسير للقضايا العلمية التى أشار إليها القرءان العزيز على حسب ما أيده العلم فى تلك العصور ، وقد أثبت العلم فى هذا العصر وأيد الدليل والبرهان أنه لا ينبغى التعويل على مثل ما كان معروفا حينئذ ، إلى أن هذه المؤلفات وضعت ـ فى عصور قد خلت ـ بأساليب تناسب أهلها ، وكان مؤلفوها

يتباهون بإيجازها ويرون ذلك مفخرة لهم ، ولكن الزمان وهو الحوّل القُلَّب غيّر آراء الناس فى الموسوعات العلمية ، فرأوا أن الكتاب الذى لا يناجيك معناه لدى قراءة لفظه ، أولى لك ألا تضيع وقتك فى قراءته وكدّ الفكر فى الوصول إلى المعمّى من معناه .

ومن ثم نهج الناس فى التأليف منهج السهولة والسلاسة مع تحقيق المسائل العلمية حتى تعتز بمظاهرة الدليل والبرهان لها ، ونفوا الزائف الذى لا يقوم على ساقين ، ولا يستند إلى عصوين ، من تجربة واختبار ، وحجة وبرهان .

من جرّاء هذا رأينا مسيس الحاجة إلى وضع تفسير للكتاب العزيز يشاكل حاجة الناس فى عصرنا فى أسلوبه وطريق رصفه ووضعه ، ويكون دانى القطوف ، سهل المأخذ يحوى ما تطمئن إليه النفس من تحقيق علمى تدعمه الحجة والبرهان ، وتؤيده التجربة والاختبار ، ويضم إلى آراء مؤلفه آراء أهل الذكر من الباحثين فى مختلف الفنون التى ألمع إليها القرءان على نحو ما أثبته العلم فى عصرنا ، وتركنا الروايات التى أثبتت فى كتب التفسير ، وهى بعيدة عن وجه الحق مجانفة للصواب ، والله أسأل أن يوفقنا للرشاد ، ويهدينا إلى سواء السبيل ؟

أول المحرم عام ١٣٦٥ هـ

أحمد مصطفى المراغى

عناية المسلمين بتفسير الكتاب الكريم

كتاب الله هو دستور التشريع ، ومنبع الأحكام التى طلب إلى المسلمين أن يعملوا بها ، ففيه بيان الحلال والحرام والأمر والنهى ، وكذلك هو معين الآداب والأخلاق التى أمروا أن يستمسكوا بها ، لتكون مصدر سعادتهم ، ومنبع هدايتهم ، ونيلهم الزُّلفى عند ربهم فى جنات النعيم ؛ كما أنها الوسيلة لإصلاح حال المجتمع الإسلامى إذا أخذوا بها ولم يحيدوا عن طريقها و ينحرفوا عن سَنَنها .

فلا غرو أن كان تفسيره ، و إيضاح ما أشكل عليهم فهمه منه — هجّيراهم من بدء التنزيل فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد كان هو النبراس الذى يضىء لهم ما خفى عليهم من أمور التشريع ومعرفة أسرار الدين .

ومما ساعد على ذلك أنه نزل مُنجَّما على حسب الحوادث والوقائع فى نيف وعشرين سنة ، وقد كانت تنزل عليه الآية أو الآيات فى واقعة بعينها فيتدارسها مع صحبه ، ويفصل لهم مجملها ، ويوضح لهم مبهمها ، ويفسر لهم مشكلها ، حتى لاتبقى فى النفس بقية من لَبْس ، وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم الهادى لهم إلى سواء السبيل ، والفاتح لهم ما استغلق من أمر دينهم ، والمفسر لكتاب الله بسنته القولية وسنته الفعلية كما قال تعالى (وأنزلْنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم) وهكذا ظل دائبا حتى لحق بالرفيق الأعلى .

طبقات المفسرين

١ — التفسير فى عصر الصحابة

طفق المسلمون بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم يتدارسون القرآن ، ويتفهمون معناه بطريق الرواية عن صحبه الذين كانوا يجلسون فى حضرته كثيراً .

وقد اشتهر بالتفسير عشرة من الصحابة : الخلفاء الراشدون الأربعة أبو بكر وعمر

وعثمان وعلى ، ثم عبد الله بن مسعود ، وابن عباس ، وأُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعرى ، وعبد الله بن الزبير .

وأكثر من روى عنه التفسير من الخلفاء على بن أبى طالب ، والرواية عن الثلاثة الباقين نادرة ، وروى عن ابن مسعود المتوفى بالمدينة سـنة ٣٢ هـ أكثر مما روى عن على رضى الله عنه .

أما عبد الله بن عباس المتوفى بالطائف سنة ٦٨ هـ فهو تَرجمان القرآن ، وحِبر الأمة ، وشيخ المفسرين ، فقد روى عنه فى التفسير ما لا يحصى كثرة ، دعا له النبى صلى الله عليه وسلم فقال : اللهم فَقِّهْهُ فى الدين وعَلِّمه التأويل .

قال صاحب كشف الظنون ما نصه :

وأصح الطرق فى الرواية عنه :

(١) طريق على بن أبى طلحة الهاشمى المتوفى سنة ١٤٣هـ ، وعليها اعتمد البخارى فى صحيحه .

(٢) طريق قيس بن مسلم الكوفى المتوفى سنة ١٢٠ هـ عن عطاء بن السائب

(٣) طريق ابن إسحاق صاحب السيرة .

(٤) طريق أبى النضر محمد بن السائب الكلبى المتوفى سنة ١٤٦هـ ، وهى أَوْهَى الطرق ، ولا سيما إذا وافقتها طريق محمد بن مروان السُّدِّى الصغير المتوفى سنة ١٨٦هـ

وقد طبع تفسير ينسب إلى ابن عباس برواية الفيروزبادى صاحب القاموس ، سماه (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) .

وروى عن أُبى بن كعب المتوفى سنة ٢٠هـ تفسير كبير رواه عنه أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية ، وهو أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان أقرأ الصحابة وسيد القراء .

وزيد بن ثابت الأنصارى المتوفى سنة ٤٥ هـ أحد كتاب الوحى ، وهو الذى جمع المصحف أولا فى عهد أبى بكر ، ثم كان رئيس الجماعة الذين كتبوا المصحف فى عهد عثمان .

وأبو موسى الأشعرى هو عبد الله بن قيس الأشعرى المتوفى سنة ٤٤ هـ .

٢ — التفسير فى عهد التابعين

أعلم الناس بالتفسير فى هذا العصر :

ا — علماء مكة أصحاب عبد الله بن عباس وأشهرهم :

(١) مجاهد بن جبر المتوفى سنة ١٠٣هـ وقد قال : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة ، واعتمد على تفسيره الشافعى والبخارى .

(٢) سعيد بن جبير المتوفى سنة ٩٤ هـ .

(٣) عِكرِمة مولى ابن عباس المتوفى بمكة سنة ١٠٥ هـ .

(٤) طاوس بن كيسان اليمانى المتوفى بمكة سنة ١٠٦ هـ .

(٥) عطاء بن أبى رَباح المكى المتوفى سنة ١١٤ هـ .

قال سفيان الثورى : خذوا التفسير عن أربعة : عن سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك . وقال قَتادة : كان أعلم التابعين أربعة ، كان عطاء بن أبى رباح أعلمهم بالمناسك ، وكان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير ، وكان عكرمة أعلمهم بالسير ، وكان الحسن[1] أعلمهم بالحلال والحرام .

ب — علماء الكوفة أصحاب ابن مسعود وأشهرهم :

(١) علقمة بن قيس المتوفى سنة ١٠٢ هـ .

(٢) الأسود بن يزيد المتوفى سنة ٧٥ هـ .

(٣) إبراهيم النخْعى المتوفى سنة ٩٥ هـ .

(٤) الشعبى المتوفى سنة ١٠٥ هـ .

حـ — علماء المدينة أصحاب زيد بن أسلم العدوى المدنى المتوفى سنة ١٣٦هـ ، وله تفسير يعد من أمهات التفاسير ، ومن أشهرهم :

---

(١) الحسن البصرى

(١) ابنه عبد الرحمن بن زيد المتوفى سنة ١٨٢ هـ .
(٢) مالك بن أنس المتوفى سنة ١٧٩ هـ .
(٣) الحسن البصرى المتوفى سنة ١٢١ هـ .
(٤) عطاء بن أبى مسلم الخراسانى المتوفى سنة ١٣٥ هـ .
(٥) محمد بن كعب القُرظى المتوفى سنة ١١٧ هـ .
(٦) أبو العالية رفيع بن مهران الرياحى المتوفى سنة ٩٠ هـ .
(٧) الضحاك بن مزاحم المتوفى سنة ١٠٥ هـ .
(٨) عطية بن سعيد العوفى المتوفى سنة ١١١ هـ .
(٩) قتادة بن دعامة السَدوسى المتوفى سنة ١١٧ هـ .
(١٠) الربيع بن أنس المتوفى سنة ١٣٩ هـ .
(١١) اسماعيل بن عبد الرحمن السُدِى الكبير المتوفى سنة ١٢٧ هـ .

٣ — طبقة ثالثة جمعت أقوال الصحابة والتابعين :

وأشهر هؤلاء :

(١) سفيان بن عيينة المتوفى سنة ١٩٨ هـ .
(٢) وَكيع بن الجراح الكوفى المتوفى سنة ١٩٧ هـ .
(٣) شعبة بن الحجاج المتوفى سنة ١٦٠ هـ .
(٤) يزيد بن هرون السُلمى .
(٥) عبد الرازق المتوفى سنة ٢١١ هـ .
(٦) آدم بن أبى إياس المتوفى سنة ٢٢١ هـ .
(٧) إسحاق بن راهويه الإمام الحافظ النيسابورى المتوفى سنة ٢٣٨ هـ .
(٨) روح بن عبادة المتوفى سنة ٢٠٥ هـ .
(٩) عبد الله بن حميد الجهنى .
(١٠) أبو بكر بن أبى شيبة الإمام الحافظ الكوفى المتوفى سنة ٣٣٥ هـ .

obeikandl.com

٤ — الطبقة الرابعة طبقة ابن جرير :

تلت هؤلاء طبقة أخرى ، منها :

(١) على بن أبى طلحة المتوفى سنة ١٤٣ هـ .

(٢) ابن أبى حاتم عبد الرحمن بن محمد الرازى المتوفى سنة ٣٢٧ هـ .

(٣) ابن ماجه الحافظ أبو عبد الله محمد القزوينى المتوفى سنة ٢٧٣ هـ .

(٤) ابن مردويه أبو بكر أحمد بن موسى الأصفهانى المتوفى سنة ٤١٠ هـ .

(٥) أبو الشيخ بن حبان البستى المتوفى سنة ٣٥٤ هـ .

(٦) ابرهيم بن المنذر المتوفى سنة ٢٣٦ هـ .

(٧) أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ وهو من أشهر مفسرى هذا العصر . قال السيوطى فى الإتقان : وكتابه أجل التفاسير وأعظمها ، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض وللإعراب ، والاستنباط ، فهو يفوق بذلك تفاسير الأقدمين اهـ . وقال النووى النيسابورى الشافعى فى تهذيبه : كتاب ابن جرير فى التفسير لم يصنف أحد مثله ، وقال أبو إسحق الاسفرائينى : لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيراً ، وروى أن ابن جرير قال لأصحابه : أتنشطون لتفسير القرآن ؟ قالوا كم يكون قدره ؟ قال : ثلاثين ألف ورقة . قالوا هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه ، فاختصره فى نحو ثلاثة آلاف ورقة ، ذكر ذلك السبكى فى طبقاته .

٥ — الطبقة الخامسة طبقة المفسرين بحذف الأسانيد :

ألف بعد هؤلاء جماعة من المفسرين لهم تفاسير مشحونة بالفوائد محذوفة الأسانيد من أشهرهم :

(١) أبو إسحق الزجاج إبراهيم بن السرىّ النحوى المتوفى سنة ٣١٠ هـ وقد سمى تفسيره (معانى القرآن) .

(٢) أبو على الفارسى الحجة الثبت فى اللغة والبلاغة ، وصاحب المؤلفات الكثيرة فى مختلف الفنون ، توفى سنة ٣٧٧ هـ .

(٣) أبو بكر محمد بن الحسن المعروف بالنقاش الموصلى المتوفى سنة ٣٥١ هـ .

(٤) أبو جعفر النحاس النحوى المصرى المتوفى سنة ٣٣٨ هـ .

(٥) مكى بن أبى طالب القيسى النحوى المغربى المتوفى سنة ٤٣٧ هـ .

(٦) أبو العباس أحمد بن عمار المهدوى المتوفى سنة ٤٣٠هـ وله تفسير يسمى (التفصيل الجامع لعلوم التنزيل) .

وقد دخل فى التفسير فى هذه الفترة الدخيل ، إذ نقلت الأقوال بتراً محذوفة الأسانيد ، فالتبس الصحيح بالعليل ، وصار كل من سنح له قول يورده ، ومن خطر بباله شىء يعتمده ، غير ملتفت إلى ما روى عن السلف الصالح فى ذلك ، ومن هم القدوة فى هذا الباب .

٦ — عصر المعرفة الإسلامية :

التقت فى البلاد الإسلامية تيارات العقل البشرى حاملة تراث المدنيات والحضارات اليونانية والفارسية والهندية ، ومرت بأهلها أعاصير من جدل أهل الكتاب يهودهم ونصاراهم ، فكان كل أولئك حافزاً للعلماء على أن يؤلفوا موسوعات فى التفسير تجمع بين دفتيها فنوناً من المعرفة لم يكن لهم بها سابقة عهد ، وسار الفكر الإسلامى حرا طليقا فى معرفتها حيناً ، ومقيداً حيناً آخر ، يحكّم العقل مرة ، ويسلس قياده للنص أخرى ، ويميل إلى التقليد حين الضعف والانحلال والركود الفكرى . ولما كان القرآن كتابا سماويا تنزل على قلب أكمل الأنبياء ، مشتملا على معارف عالية ومطالب سامية ، يجد المنقب عنها من الهيبة والجلال مايكاد يحول بينه وبين الوصول إليها — سهل سبحانه الأمر علينا ، فلم يطلب منا إلاّ الفهم والتدبر فى كلامه ، لأنه نزله نوراً وهدى للناس ، وجعله حاويا للشرائع والأحكام التى لا يمكن العمل بها إلا إذا فهمت حق الفهم ، واستوضحت مغازيها ، وكشفت

أسرارها ومراميها ، من حيث هى دين إلهى ، وهدى سماوى ، ترشد الناس إلى مافيه سعادتهم فى حياتيهم الدنيوية والأخروية ، وماسوى ذلك من وجوه النظر والبحث ، فتابع لذلك ، ووسيلة إليه فى التحصيل ، ولايعنينا العناية التى نهتم لها اهتمامنا بالمطلب الأول ، لـكن كثيراً من المفسرين ، جعلوا عنايتهم تكاد تكون وقفاً على الوسائل دون المقاصد :

(١) فمنهم من وجه النظر إلى البحث فى أساليب الـكتاب ومعانيه ، و بيان ما احتوى عليه من بلاغة وفصاحة ، وأطنب فى ذلك وجعل مقصده بيان ميزته عن غيره من الـكلام و إظهار إعجازه للناس ، ليتبين لهم كيف أعجز مقاويل العرب وفصحاءهم ، وكيف استخْذَوا أمامه ووقفوا واجمـــين ؟ وكيف لجئوا إلى السيف والسنان ، دون مقابلة البرهان بالبرهان ؟ وكيف عُمِّى عليهـم الأمر ؟ فلم يجدوا لرد التحدى سبيلا .

وقد سلك هذا المسلك الزمخشرى فى كشافه ، فألم بالـكثير من مقاصد البلاغة ، وأبدع فيها أيما إبداع ، ونحا نحوه خلق كثير .

(٢) ومنهم من وجه النظر إلى إعرابه وتوسع فى بيان وجوهه ، حتى كأن القرءان لهذا أنزل ، وممن سلك هـــذا المسلك الزجّاج فى تفسيره معانى القرءان ، والواحدى النيسابورى فى تفسيره (البسيط) ، وأبو حيان محمد بن يوسف الأندلسى فى البحر المحيط .

(٣) ومنهم من وجه النظر إلى القصص والأخبار عمن سلف ، وقد نحا هـذا النحو أقوام زادوا فى قصص القرءان ما شاءوا من كتب التاريخ والإسرائيليات ، وليتهم اقتصروا على النقل من التوراة والإنجيل والـكتب المعتمدة لدى أهل الـكتاب ، لـكنهم أخذوا جميع ما سمعوه عنهم من غير تفريق بين غث وسمين ، ولا تنقيح لما يخالف الشرع ولايطابق العقل ، ومن أشهر هؤلاء الثعلبى ، وصاحب الخازن علاء الدين ابن محمد البغدادى المتوفى سنة ٧٤١ هـ .

(٤) ومنهم من وجَّه همه إلى الأحكام الشرعية من عبادات ومعاملات وكيفية استنباطها من الآيات ، وربما استطردوا إلى إقامة الأدلة عليها ، والرد على المخالفين مما لا تعلق له بالتفسير كما فعل القرطبي فى تفسيره .

(٥) ومنهم من عُنى بالكلام فى أصول العقائد ومقارعة الزائغين ، ومحاجة المخالفين ، وللإمام الرازى المتوفى سنة ٦١٠هـ فى ذلك القِدْح المعلَّى فى تفسيره الكبير المسمى بمفاتيح الغيب ، فقد خرج فيه من باب إلى باب ، حتى ليقضى الناظر العجب من صنيعه . قال أبو حيان فى البحر : جمع الرازى فى تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة إليها فى علم التفسير ، ولذلك قال بعض العلماء : فيه كل شىء إلا التفسير اهـ .

(٦) ومنهم من اتجه إلى الوعظ والرقائق ممزوجة بحكايات المتصوفة والعباد ، وفى بعضها خروج عن حدود الفضائل والآداب التى جرى عليها القرءان .

(٧) ومنهم من سلك طريق التفسير بالإشارة إلى دقائق لا تنكشف إلا لأرباب السلوك ، ويمكن إرادتها مع إرادة ظاهر المعنى ، وقالوا إن ذلك من كمال الإيمان ومحض العرفان .

ولقد نعلم أن الإكثار فى مقصد من هذه المقاصد يُدخل النقص على الغرض الأصلى من تفسير الكتاب الكريم ، وهو فهم الكتاب من حيث هو دين وهداية للناس فى دنياهم وآخرتهم .

٧ — طريق كتابة القرآن الكريم :

من المعروف أن لكتابة القرءان طريقاً خاصة تخالف الطريق التى اتبعها العلماء فيما بعد ودرجوا عليها ، ودونوا فيها كتبا تعرف بعلم رسم الحروف ، أو علم الإملاء ، وبه كتبت جميع المؤلفات من القرن الثالث فما بعده إلى اليوم .

أما كتابة المصحف فهى تابعة للطريق التى كتب بها المصحف فى عهد عثمان ابن عفان الخليفة الثالث على يد جماعة من كبار الصحابة وتسمى (الرسم العثمانى) ، وقد اتبع فيها نهج خاص يخالف ما اتبع فيما بعد فى كثير من المواضع ، ومن ثم قيل : خطان لا يقاس عليهما : خط العروض ، وخط المصحف العثمانى .

آراء العلماء فى التزام الرسم العثمانى

فى كتابة المصاحف

الرأى الأول — عبرعنه الإمام أحمد بقوله : تحرم مخالفة خط عثمان فى واو أو ألف أو ياء أو غير ذلك . وقال أبو عمرو الدانى : لامخالف لما حكى عن مالك من وجوب الكتابة على الكِتبْة الأولى من علماء الأمة .

الرأى الثانى — أن رسم المصاحف اصطلاحى لاتوقيفى ، وعليه فتجوز مخالفته، وممن جنح إلى هذا الرأى ابن خلدون فى مقدمته ، وممن تحمس له القاضى أبو بكر فى الانتصار ، إذ قال : وأما الكتابة فلم يفرض الله على الأمة فيها شيئاً ، إذ لم يأخذ على كتّاب القرءان وخطاطى المصاحف رسماً بعينه دون غيره أوجبه عليهم وترك ما عداه ، إذ وجوب ذلك لايدرك إلابالسمع والتوقيف ، وليس فى نصوص الكتاب ولا مفهومه أن رسم القرءان وضبطه لا يجوز إلا على وجه مخصوص وحد محدود لا يجوز تجاوزه ، ولا فى نص السنة ما يوجب ذلك ويدل عليه ، ولا فى إجماع الأمة ما يوجب ذلك ، ولا دلت عليه القياسات الشرعية ، بل السنة دلت على جواز رسمه بأى وجه سهل ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر برسمه ولم يبين لهم وجهاً معيناً ، ولا نهى عن كتابته بغيره .

ولذلك اختلفت خطوط المصاحف ، فمنهم من كان يكتب الكلمة على مخرج اللفظ ، ومنهم من كان يزيد وينقص لعلمه أن ذلك اصطلاح ، وأن الناس لا يخفى عليهم الحال ، ولأجل هذا بعينه جاز أن يكتب بالحروف الكوفية والخط الأول ، وأن يجعل اللام على صورة الكاف ، وأن تعوج الألفات ، وأن يكتب على غير هذه الوجوه ، وجاز أن يكتب المصحف بالخط والهجاء القديمين ، وجاز أن يكتب بالخطوط والهجاء المحدثة ، وجاز أن يكتب بين ذلك .

وإذا كانت خطوط المصاحف ، وكثير من حروفها مختلفة متغايرة الصورة ،

وكان الناس قد أجازوا ذلك ، وأجازوا أن يكتب كل واحد منهم بما هو عادته ، وما هو أسهل وأشهر وأولى ، من غير تأثيم ولا تناكر ، علم أنه لم يؤخذ فى ذلك على الناس حد محدود مخصوص ، كما أخذ عليهم فى القراءة والأذان .

والسبب فى ذلك أن الخطوط إنما هى علامات ورسوم تجرى مجرى الإشارات والعقود والرموز ، فكل رسم دال على الكلمة مفيد لوجه قراءتها تجب صحته وتصويب الكتابة به على أى صورة كانت . وبالجملة فكل من ادعى أنه يجب على الناس رسم مخصوص وجب عليه أن يقيم الحجة على دعواه ، وأنى له ذلك؟ اهـ .

الرأى الثالث — يميل صاحب التبيان ومن قبله صاحب البرهان إلى ما يفهم من كلام العز بن عبد السلام ، من أنه يجوز بل يجب كتابة المصحف الآن لعامة الناس على الاصطلاحات المعروفة الشائعة عندهم ، ولا تجوز كتابته لهم بالرسم العثمانى الأول ، لئلا يوقع فى تغيير من الجهال ، ولكن يجب فى الوقت نفسه المحافظة على الرسم العثمانى كأثر من الآثار النفيسة الموروثة عن سلفنا الصالح ، فلا يهمل مراعاته لجهل الجاهلين ، بل يبقى فى أيدى العارفين الذين لا تخلو منهم الأرض . وهاك عبارة التبيان قال :

وأما كتابته (المصحف) على ما أحدث الناس من الهجاء فقد جرى عليه أهل الشرق بناء على كونها أبعد من اللبس ، وتحاماه أهل المغرب بناء على قول الإمام مالك، وقد سئل هل يكتب المصحف على ما أحدث الناس من الهجاء ؟ فقال : لا . إلا على الكتبة الأولى .

قال فى البرهان : قلت وهذا كان فى الصدر الأول والعلم حى غض ، وأما الآن فقد يخشى الالتباس ، ولهذا قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسم الأول باصطلاح الأئمة لئلا يوقع فى تغيير من الجهال ، ولكن لا ينبغى إجراء هذا على إطلاقه ، لئلا يؤدى إلى دروس العلم ، وشىء قد أحكمه القدماء لا يترك مراعاة لجهل الجاهلين ، ولن تخلو الأرض من قائم لله بحجته اهـ .

وقد جرينا على الرأى الذى أوجبه العز بن عبد السلام فى كتابة الآيات أثناء التفسير للعلة التى ذكرها ، وهى فى عصرنا أشد حاجة إليها من تلك العصور ، على أن الخلاف بينهم فى المصحف لا فى القرآن ولو أثناء التفسير كما فعلنا .

خدمتى للغة العربية والكتاب الكريم

لقد سعدت بخدمتى للغة العربية نحو نصف قرن درسا وتدريسا ، وتأليفا وتصنيفا ، أتتبع أساليبها فى آى القرءان الحكيم ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والشعر والنثر ، حتى وجدتُنى كلفا ، بأن أتوج خدمتى لهذه اللغة بتأليف تفسير آى الذكر الحكيم المسمى (تفسير المراغى) .

وقصارای أن أسير فى قافلة الحاملين لمشعل المعرفة الإسلامية ، مؤديا بعض ما يجب على نحو الكتاب الكريم من الكشف عن بعض أسراره ومغازيه .

نهجنا الذى سلكناه فى هذا التفسير

رأينا أن ندلى إليك أيها القارئ ، بالنهج الذى اتبعناه فى التأليف ، لتكون على بينة من أمره :

(١) ذكر الآيات فى صدر البحث

صدرنا كل بحث بآية أو آيتين أو آيات من الكتاب الكريم ، سيقت لتؤدى غرضا واحدا .

(٢) شرح المفردات

أردفنا ذلك بتفسير مفرداتها اللغوية ، إن كان فيها بعض الخفاء على كثير من القارئين .

(٣) المعنى الجملى للآيات

أتبعنا ذلك بذكر المعنى الجملى لهذه الآية أو الآيات ليتجلى للقارئ منها صورة مجملة حتى إذا جاء التفسير وضح ذاك المجمل .

(٤) أسباب النزول

أعقبنا ذلك بما ورد من أسباب النزول لهذه الآيات ، إن صح شيء من ذلك لدى المفسرين بالمأثور .

(٥) الإعراض عن ذكر مصطلحات العلوم

ضربنا صفحا عن ذكر مصطلحات العلوم : من نحو وصرف و بلاغة إلى أشباه ذلك ، مما أدخله المفسرون فى تفاسيرهم ، فكان من العوائق التى حالت بين جمهرة الناس وقراءة كتب التفسير ، فقد وجدوا طِلَّسْمَات وألغازا يصعب عليهم فهمها والسير قُدُماً فى استيعاب قراءة التفسير، لأنها من ألوان الصناعات التى يخص بها قوم من الناس ، وتكون عونا لهم على فهم الأساليب العربية فهم دراسة وتعمق ، كما يخص قوم من الأمة بالحياكة والنجارة والحدادة إلى أشباه ذلك .

(٦) أسلوب المفسرين

رأينا أن الأساليب التى كتبت بها كتب التفسير وضعت فى عهود سحيقة بأساليب تناسب أهل العصور التى ألفت فيها و يسهل عليهم فهمها ، وأن جمهرتهم أوجزوا فى القول وعدوا ذلك مفخرة لهم .

ولما كان لكل عصر طابع خاص يمتاز به عن غيره فى آداب أهله وأخلاقهم وعاداتهم وطرائق تفكيرهم — وجب على الباحثين فى هذا العصر مجاراة أهله فى كل ما تقدم ، فكان لزاما علينا أن نتلمس لونا من التفسير لكتاب الله بأسلوب

عصرنا موافقا لأمزجة أهله ، فأساس التخاطب أن لـكل مقام مقالا ، وأن الناس يخاطبون على قدر عقولهم ، وقد رأينا أن نشيد فيـه بجهود السابقين معترفين بفضلهم مستندين إلى آرائهم .

وقد سلـكنا فى الوصول إلى فهم كتاب الله فى مسئلة بعينها استطلاع آراء العارفين بها ، فاستطلعنا آراء الطبيب النطاسى ، والفلـكى العارف ، والمؤرخ الثبت ، والحـكيم البصير ليدلى كل برأيه فيما تمهر فيه ، لنعلم ما أثبته العلم وأنتجه الفـكر ، فيكون كلامنا معتزا بكرامة المعرفة التى تشرف بتفهم كتاب الله ، فرجل الدين حامل لوائها ، عليه أن يسأل العلم دائما ليستبصر بمـا ثبت لديه ، ويساير عصره ما وجد إلى ذلك سبيلا ، فإن قعدت به همته إلى الموروث من قضاياه لدى الماضين ركب شططا وازداد بعدا عن الحقيقة ، وتضاءل أمام نفسه وأمام قارئى بحوثه ومؤلفاته .

(٧) ميزة العصر الحاضر فى وسائل التفاهم

ميزة عصرنا أن الـكلام وسيلة فهم الغرض حين التخاطب ، فلا حاجة إلى النقاش وصنوف التأويل لفهم المعنى ، ومن ثم كان أهم ما عملت أن أقرأ فى الموضوع الواحد ما كتبه أعلام المفسرين على اختلاف نزعاتهم وتباين أزمنتهم حتى إذا اطمأننت إلى فهم ما قرأت وتمثلته وهضمته ، كتبته بأسلوب العصر الحاضر ، وهذا هو نهجى فى كل جزء من أجزاء هذا التفسير .

وما حملنى على ركوب هذا المركب الخشن ، وافتحام هذه العقبات إلا انصراف القارئين عن قراءة كتب التفسير التى بين أيدينا بدعوى أنهـا صعبة المدخل مفعمة بكثير من المصطلحات ، لا يعلمها إلا من أتقن هذه الفنون من العلماء ، واستبدلت بأساليب المؤلفين أسلوبا سهل المأخذ قليل الـكلفة فى الفهم ، حتى يستطيع القارئ أن يلم بأسرار كتاب الله دون كد ولا نصب .

(٨) تمحيص روايات كتب التفسير

أشار الكتاب الكريم إلى كثير من تاريخ الأمم الغابرة التى حل بها العذاب على ما اجترحت من الآثام ، وإلى بدء الخلق وتكوين الأرض والسموات ، ولم يكن لدى العرب من المعرفة ما يستطيعون به شرح هذه المجملات التى أشار إليها الكتاب ، إذ كانوا أمة أمية فى صحراء نائية عن مناهل العلم والمعرفة ، والإنسان بطبعه حريص على استكناه المجهول ، واستيضاح ما عزت عليه معرفته ، فألجأتهم الحاجة إلى الاستفسار من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ولاسيما مسلمتهم كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار ، ووهب بن مُنبّه ، فقصوا عليهم من القصص ما ظنوه تفسيرا لما خفى عليهم فهمه من كتابهم ، ولكنهم كانوا فى ذلك كحاطب ليل ، يجمع بين الشذرة والبعرة ، والذهب والشَبَه ، ولم تكن علوم القصاص ممحصة ولامهذبة ، بل كان ينقصها الميزان العلمى الذى به يتعرف جيد الرأى من بهرجه وصحيحه من سقيمه ، فساقوا إلى المسلمين من الآراء فى تفسير كتابهم ماينبذه العقل ، وينافيه الدين ، وتكذبه المشاهدة ، ويبعده كل البعد ما أثبته العلم فى العصور اللاحقة .

وما كان مثلهم ومثل العرب الذين استوضحوهم بعض ما استعصى عليهم فهمه إلا مثل السائح الأوربى إذا جاء إلى سفح الأهرام بمصر ، وسأل العرب الضاربين خيامهم حولها . لم بنيت الأهرام ؟ ومن بناها ؟ ومتى بنيت ؟ وكيف بنيت ؟ فيجيبونه إجابات بعيدة عن الحقيقة ومجانفة وجه الصواب .

ومن ثَم رأينا ألا نذكر رواية مأثورة إلا إذا تلقاها العلم بالقبول ولم نر فيها ما يتنافر مع قضايا الدين التى لا خلاف فيها بين أهله ، وقد وجدنا أن ذلك أسلم لصادق المعرفة ، وأشرف لتفسير كتاب الله ، وأجذب لقلوب المثقفين ثقافة علمية ، لا يقنعها إلا الدليل والبرهان ونور المعرفة الصادقة .

(٩) عدد أجزاء هذا التفسير

جعلت تفسيرى ثلاثين جزءاً ، لكل جزء من القرآن الكريم جزء خاص من التفسير ، ليسهل على القارىء حمل هـذا الجزء واستصحابه معه فى حله وترحاله ، فى قطر السكك الحديدية ، وفى الترام ، وفى كل مكان ينتقل إليه .

وكان من فأل الطالع أن بدئ بنشر هذا التفسير فى أول العام الهجرى الجديد عام ١٣٦٥ هـ .

والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين ، وأن يوفقنا لخدمة دينه ولغة كتابه الكريم .

أحمد مصطفى المراغى

obeikandl.com

مراجع التفسير

(١) تفسير أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ .

(٢) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل لأبى القاسم جار الله الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨ هـ .

(٣) حاشية شرف الدين الحسن بن محمد الطيبى المتوفى سنة ٧١٣ هـ على الكشاف .

(٤) أنوار التنزيل للقاضى ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوى المتوفى سنة ٦٩٢ هـ .

(٥) تفسير أبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى المتوفى فى رأس المائة الخامسة .

(٦) تفسير البسيط للامام أبى الحسن الواحدى النيسابورى المتوفى سنة ٤٦٨ هـ .

(٧) التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازى المتوفى سنة ٦١٠ هـ .

(٨) تفسير الحسين بن مسعود البغوى المتوفى سنة ٥١٦ هـ .

(٩) غرائب القرءان لنظام الدين الحسن بن محمد القمى .

(١٠) تفسير الحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى المتوفى سنة ٧٧٤ هـ .

(١١) البحر المحيط لأثير الدين أبى حيان محمد بن يوسف الأندلسى المتوفى سنة ٧٤٥ هـ .

(١٢) نظم الدرر فى تناسب الآى والسور لبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعى المتوفى سنة ٨٨٥ هـ .

(١٣) تفسير أبى مسلم الأصفهانى المتوفى سنة ٤٥٩ هـ .

(١٤) تفسير القاضى أبى بكر الباقلانى .

(١٥) تفسير الخطيب الشربينى المسمى بالسراج المنير .

(١٦) روح المعانى للعلامة الألوسى .

(١٧) تفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا وهـو تفسير مقتبس من دروس الأستاذ الإمام محمد عبده ، وقد كان له فضل كبير فيما اقتبسناه أثناء تفسير الأجزاء التى فسرها .

(١٨) تفسير الجواهر للأستاذ طنطاوى جوهرى .

(١٩) سيرة ابن هشام .

(٢٠) شرح العلامة ابن حجر للبخارى .

(٢١) شرح العلامة العينى للبخارى .

(٢٢) لسان العرب لابن منظور الإفريقى المتوفى سنة ٧١١ هـ .

(٢٣) شرح القاموس للفيروز بادى المتوفى سنة ٨١٦ هـ .

(٢٤) أساس البلاغة للزمخشرى المتوفى سنة ٥٤٨ هـ .

(٢٥) الأحاديث المختارة للضياء المقدسى .

(٢٦) طبقات الشافعية لابن السبكى .

(٢٧) الزواجر لابن حجر .

(٢٨) أعلام الموقعين لابن تيمية .

(٢٩) الإتقان فى علوم القرءان للعلامة السيوطى .

(٣٠) مقدمة ابن خلدون .

obeikandi.com